بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على جميع الأنبياء والمرسلين لاسيما محمد وآل بيته الطيبين الطاهرين

السلام على الصديقة الشهيدة سيدة نساء العالمين، أحاول أن أذكر هذه الليلة[1] شيئا مختصرا عن حياة الصديقة الطاهرة فاطمة عليها السلام

في الكافي روايات كثيرة بعنوان شدة ابتلاء المؤمن: (عن أبي عبد الله (ع) قال: إن أشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الذين يلونهم ثم الأمثل فالأمثل)[2]، وفي رواية أخرى أنه (ع) قال: (سُئل رسول الله (ص) مَن أشد الناس بلاء في الدنيا فقال: النبيون ثم الأمثل فالأمثل –يعني الأشبه فالأشبه، الأقرب إلى الأنبياء– ويبتلى المؤمن بعد على قدر إيمانه وحُسْن أعماله، فمن صح إيمانه وحسن عمله اشتد بلاؤه ومن سَخُفَ إيمانه وضعف عمله قل بلاؤه)[3]، وحتى إذا لا توجد مثل هذه الروايات فهذه القاعدة معروفة أن الإنسان المؤمن في هذه الدنيا يُختبر ويُبتلى (الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا)[4]، فهذه المعرفة والإيمان بها يجعل حياته حياة مستنفرة، يعني أي شيء يصبح في نظر المؤمن اختبارا وابتلاء، وكلما ازداد إيمانا ازدادت هذه الرؤية، وبالتالي ازداد إيمان الشخص الناتج عن معرفة، وازداد جهاده ومعاناته

لو افترضنا مجتمعا يوجد فيه الصلاة والصيام وغيرها من الأعمال ولا تُنتهك فيه المحرمات، فالإنسان العادي يرى أن هذا المجتمع مجتمع صالح، لكن الإنسان المؤمن بمعرفة لا يراه كذلك، فهذا المجتمع فقط يعمل بالمسائل الفقهية لكنه لا يتّبع إمامة الأئمة (ع)، فالإمامة هي أساس الدين[5]، فهذا المجتمع الذي يريّح الإنسان العادي يؤذي الإنسان المؤمن بمعرفة، فلا يوجد إيمان من دون جهاد وسعي لمعرفة سبيل الله المتمثل في دعوة

---

(١) تحدث السيد محمد علي الباقري (قدس الله نفسه الزكية) بهذا الحديث في ١٣ جمادى الأولى ١٤١٧، وقد تطوع بعض الأشخاص بطباعته مع شيء من التصرف يتطلبه تحويل الحديث من مسموع إلى مقروء وقد لا يخلو من أخطاء غير مقصودة

(٢) الكافي (٢/٢٥٢)

(٣) نفس المصدر

(٤) (الملك: ٢)

(٥) أشار السيد (قدس سره) لهذه المسألة في كتاب (**هكذا آمنت 1**) فصل (**لابد من إمام**)

الأئمة (ع)[٦]، مثلا شخص فقط يصلي ويصوم ولا يرتكب المحرمات، لكن هذا الشخص لا يسعى لمعرفة دعوة رسول الله (ص) ولا يقلق لأجل الدين ولا يخطط لأن يصلح الأمور ولا يعاني لأجل ذلك ولا يجاهد في سبيل ربه والذي هو سبيل إمامه، فلولا يوجد هذا الجهاد والسعي للمعرفة فهذا الشخص لا يستطيع أن يؤمن يعني لا يستطيع أن يؤمّن نفسه[٧]، هذه قاعدة عامة

فاطمة (ع) أوذيَت من أجل الدين كثيرا، كثير من الناس لا يستذكرون فاطمة (ع)، وإذا يستذكرونها يستذكرونها منزوع عنها معاناتها وبلاؤها، فهل أنت مستعد بقلبك أن ابنتك –التي قد تسميها فاطمة أو زهراء مثلا– تتعرض للأذى في سبيل الله، تتعرض للأذى لانتصار الحق المتجسد في دعوة رسول الله (ص)، وهل تتمنى ذلك؟ هذه الأمنية لوحدها لا تحصل بطبيعة الحال، هي تحصل ضمن شجرة عقائدية مترابطة يسعى المؤمن لمعرفتها، أشياء مختلفة متعددة لكنها مترابطة، إذا كانت هذه الأمنية موجودة ماذا يعني؟ يعني أنك تعرف البلاء وارتباطه بالدين فتعرف أنه لا يمكن أن يكون هناك دين من دون بلاء ومعاناة

فاطمة (ع) سيدة نساء أهل الجنة ونساء المؤمنين ونساء هذه الأمة، فلابد أن إيمان المرأة يربطها بفاطمة (ع) ومعاناتها، وأبرز مظهر من مظاهر حياة الصديقة الشهيدة فاطمة (ع) هو آلامها وتأذياتها من أجل دين رسول الله (ص)، يُذكر أنها ولدت في السنة الثالثة أو الخامسة من البعثة، بناء على هذا هي ولدت في جوّ خانق ومملوء بالصعاب والتصدّيات لدعوة النبي (ص) من قبل المشركين، ربما في هذه المرحلة كانت في الشِّعب إذا كانت ولادتها في السنة الخامسة من البعثة، وولدت فاطمة (ع) في ذلك الجو الذي كانت فيه خديجة (ع) مُقاطَعة حيث فتحت عينيها وجدت أنها في وسط الابتلاء والصعاب، قلق طبيعي من قِبَل خديجة (ع)، وكلما كانت الزهراء (ع) تكبر كانت ترى معاناة رسول الله (ص) ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ﴾[٨] وأمثال هذه الآيات التي تشير أن رسول الله (ص) كان يعاني كثيرا

---

[٦] أشار السيد (قدس سره) لهذه المسألة في كتاب (هكذا آمنت٤) فصل (ما هي (معرفة) الأئمة؟)

[٧] بيّن السيد (قدس سره) هذه المسألة في كتاب (هكذا آمنت1) فصل (الكفر بالإيمان)

[٨] (فاطر: ٨)

والسيدة خديجة توفيت في السنة العاشرة من البعثة أي أن عمر الزهراء (ع) كان سبع سنوات، فمن يتولى أمرها؟! يُذكر عنها أنها كانت ترافق رسول الله (ص) في بعض تحركاته، هذا الذي يُنقل أن رسول الله (ص) كان يصلي والمشركون أتوا بمشيمة حيوان فطرحوها عليه (ص) فهي (ع) التي كانت تزيل هذه الأشياء عن أبيها (ص)[٩]، تصوّر هذه الحالة، أصبحت بحق في هذه المرحلة أم أبيها، البنت عادة في هذه المرحلة بحاجة إلى أم ترعاها وأب يحنُّ عليها بينما هي (ع) بشكل مباشر تعيش ثِقل الرسالة على عاتقها، تصبح مشاركة لأبيها في تحمّل أعباء الرسالة، بفارق بطبيعة الحال

الثلاث سنوات الأخيرة في مكة قبل الهجرة هي من أصعب مراحل حياة رسول الله (ص) حسب الظاهر، كثير من الأشياء التي كانت تحصل كانت فاطمة (ع) تعيش همّ أبيها كله، إلى أن هاجر رسول الله (ص) وبَقَت هي بين المشركين، وبعد ذلك هاجرت مع أمير المؤمنين (ع)، وحينما انتقل المؤمنون إلى المدينة كثيرٌ منهم خفّ عذابهم وخف الأذى عنهم، لكن آلام فاطمة (ع) استمرت فكان هنالك كثير من البلاء قد توجّه لها، هذا الذي يُنقل عنها: (صبّت عليّ مصائب لو أنها صبّت على الأيام صِرنَ لياليا) هذا ليس بسبب موت أبيها فقط بل هكذا كانت حياتها

زوّجها رسول الله (ص) من أمير المؤمنين (ع)، أمير المؤمنين كان من أفقر الناس في ذلك الحين، في هذه الرواية كانوا يؤذونها (دخل علي نساء من قريش وقلن لي: زوّجك رسول الله (صلى الله عليه وآله) من فقير لا مال له)[١٠]، أن أباك لا يحبك، خصوصا أن كان هنالك خُطّاب كثيرون معروفون في المجتمع، فأمير المؤمنين لا مال لا تفرّغ للزوجة لأنه كان دائم الدعوة للدين ولرسول الله (ص)، وأساسا هذا الزواج حصل لنصرة الدين، هذه الرواية التي تروى: (رأى النبي (ص) فاطمة وعليها كساء من أجلة الابل وهي تطحن بيديها وترضع ولدها، فدمعت عينا رسول الله (ص) فقال: يا بنتاه تعجلي مرارة الدنيا بحلاوة الآخرة)[١١]، بشكل طبيعي الإنسان يتأذى، رسول الله (ص) كذلك له عاطفة فيتأذى، هذا الذي يُنقل عن زينب بنت أمير المؤمنين (ع) رغم الأذى

---

[٩] البداية والنهاية (٥٨/٣)

[١٠] بحار الأنوار (١٣٣/٤٣) نقلا عن كشف الغمة

[١١] بحار الأنوار (١٤٣/١٦) نقلا عن كنز جامع الفوائد

الشديد الذي كانت تعاني منه يُقال أنها وضعت يديها تحت جسد الحسين (ع) فأرادت أن ترفعه وقالت: (اللهم تقبل منا هذا القربان) هذا لوجهك الكريم، هذا هو درب وسبيل المؤمن، بينما الكافر هو الذي يريد الدنيا مزيّنة ومريحة، أما المؤمن فيرى الدنيا (دار بالبلاء محفوفة وبالغدر معروفة)[١٢]

بعد أن تزوجت فاطمة (ع) أصبحت مسؤولة لا فقط عن أبيها كأب، بل كانت مسؤولة عن أبيها الذي يهدف شيئا عظيما، لذلك يُنقل أن رسول الله (ص) كان يأنس بفاطمة (ع)، يُقبّلها يرتاح لها يشم بها رائحة الجنة لأنها تعيش المسؤولية عن الدين، بالإضافة إلى ذلك أصبحت مسؤولة عن أمير المؤمنين (ع)، يُنقل كثيرا أنها كانت تجوع وتنام من دون أكل، كما في رواية أن أمير المؤمنين (قال لها يوما: يا فاطمة هل عندك شيء؟ قالت: والذي عظم حقك ما كان عندنا منذ ثلاثة أيام شيء نقريك به قال: أفلا أخبرتني؟ قالت: كان رسول الله (ص) نهاني أن أسألك شيئا فقال: لا تسألين ابن عمك شيئا إن جاءك بشيء وإلا فلا تسأليه)[١٣]، جرّب أن تجعل نفسك مع رسول الله (ص) قرر أن تتولاه وتعيش همّه، هنالك بعض الأشخاص كانوا في حياة أمير المؤمنين كانوا يخرجون معه من دون أن يعلم (ع) (كان علي يخرج بالليل إلى المسجد يصلي تطوعا فجئنا نحرسه فلما فرغ أتانا فقال ما يجلسكم؟ قلنا نحرسك فقال أمن أهل السماء تحرسون أم من أهل الأرض؟ قلنا: بل من أهل الأرض قال إنه لا يكون في الأرض شيء حتى يقضى في السماء[١٤]

لابد أن تكون مستنفرا حتى تستطيع أن تعيش همّ رسول الله (ص)، إمامك أمير المؤمنين (ع) كان ذائبا في رسول الله (ص)، كل حياته مبذولة له (ص)، فاطمة (ع) تعيش همّ أبيها وهمّ زوجها (ع) في الدين، وهذا يعني أنها كانت تعيش همّ المسلمين بشكل طبيعي، هذه الرواية التي تُنقل عن الإمام الحسن (ع) (قال: رأيت أمي فاطمة قامت في محرابها ليلة الجمعة، فلم تزل راكعة ساجدة حتى انفجر عمود الصبح، وسمعتها تدعو

---

(١٢) نهج البلاغة (الخطبة ٢٢٦)

(١٣) بحار الأنوار (٣١/٤٣) نقلا عن تفسير العياشي

(١٤) كنز العمال (١٥٦٤/١)

للمؤمنين وتسميهم وتكثر الدعاء لهم، ولا تدعو بشيء لنفسها فقلت: يا أماه لم لا تدعين لنفسك كما تدعين لغيرك، فقالت: يا بني الجار ثم الدار)[١٥]

إلى أن تُوفيَ رسول الله (ص)، رسول الله لم يكن لها أباً فقط، كان الأمل كله، كان حياتها كلها، في رواية (أمّا فاطمة فبكت على رسول الله (ص) حتى تأذى بها أهل المدينة فقالوا لها: قد آذيتِنا بكثرة بكائك، فكانت تخرج إلى مقابر الشهداء فتبكي)[١٦]، حتى يروى أنها قالت (أصبحتُ والله عائفة لدنياكم، قالية لرجالكم، لفظتهم قبل أن عجمتهم وشنئتهم بعد أن سبرتهم...)[١٧]، فكانت تذهب إلى أُحد حيث حمزة ومصعب، حيث عبد الله أبي جابر الذي قال لابنه لابد لأحدنا من أن يرعى هذه البنات (ولست بالذي أوثرك بالجهاد مع رسول الله (ص) على نفسي)[١٨] فخرج واستشهد في أُحد، فكانت (ع) تخرج فرارا من هذا الوضع الجديد إلى تلك الأماكن، يُنقل أنها كانت تخرج إلى قبور الشهداء كل اثنين وخميس وتقول (هاهنا كان رسول الله (ص) هاهنا كان المشركون)[١٩]، إلى أن تُوفيت (ع)

بجهادها ونصرتها للدين أصبحت آية، أصبحت شهيدة في هذا الطريق يعني حاضرة في النفوس، لأنها كانت تعيش هذا الهمّ بكل وجودها، هل أنت تسعى أن تكون كذلك؟ وتسعى لمعرفة طريق الأئمة (ع) لتكون ناصرا لهذا الدين، لأنه بمعرفة إمامة الهدى تعرف إمامة الضلال القائمة المسيطرة الآن

فسلام على فاطمة سيدة نساء العالمين، نرجو أن يشفعنا الله بها ويقربنا الله إليه بها، ويجعلنا نعرفها ونذكرها ونعيش همّها ونتأسى بها ونتعزى بها، والحمد لله رب العالمين

---

[١٥] بحار الأنوار (٤٣/ ٨١) نقلا عن علل الشرائع

[١٦] الخصال (٢٧٣/١)

[١٧] معاني الأخبار (٣٥٤)

[١٨] سيرة ابن هشام (٦١٥/٣)

[١٩] الكافي (٢٢٨/٣)